

الشبهة الثلاثون

جامعو السنة كتبوها مكرهين؟!!

عنوان ضخيم، ووصف مفرع، فإذا فتشت وراءه لم تجد لهذا «القول» أبا ولا أما. وهذا يؤكد أن منكرى السنة يتهافتون - دائما - وراء تصيد الشبهات لإنكار شطر الإيمان.

وفى هذه الشبهة يزعمون أن جامعي السنة لم يكتبوها مختارين، بل كتبوها مكرهين، وأن الأمراء هم الذين أكرهوهم على كتابتها، ولولا إكراه الأمراء ما كتبوها، وما كنت تسمع عن رجل اسمه البخارى، أو مسلم أو غيرهما؟!!

ويستندون فى هذه التهمة «الضخمة» على كلام كتبه المستشرق اليهودى الأصل (جولدزبير) عن الإمام الزهرى نقله محرِّفاً ولو كان نقله «صواباً» ما وجد فيه منكرى السنة الآن أو شياطين الإنس مغمزا فى حديث رسول الله ﷺ .
وما نحن أولاء نكشف باطلهم بحق الله، فإذا هو زاهق .

تفنيد هذه الشبهة ونقضها :

لم يكن تدوين المعارف والعلوم منتشرا فى صدر الإسلام بل كانوا يعتمدون على الحفظ، وقوة الذاكرة. وقد كان هذا ملاحظا فى كل العلوم العربية والشرعية، وليس مقصورا على علم الحديث وحده، لأن التدوين بدأ وتبدأ فى أواخر القرن الثانى الهجرى. ثم فشا أمره فى القرنين الثالث والرابع، وبلغ ذروته فى الرابع كما هو معروف. والقرنان الثالث والرابع هما العصر الذهبى فى التأليف والتدوين العربى الإسلامى .

الواقعة قبل التحريف :

جاء فى طبقات ابن سعد وتاريخ ابن عساكر أن الإمام الزهرى كان يمتنع عن

كتابة الأحاديث الشريفة للناس، ويكتفى بإسماعهم الحديث لئلا يتكلوا على الكتابة ويهملون الحفظ، وفي عهد هشام بن عبد الملك أشار على الزهري أن يكتب لولده - ولد هشام - أربعمئة حديث ليحفظها، فامتنع الزهري، لكن هشام ألح عليه حتى وافق الزهري. ولما كتب الأحاديث الأربعمئة خرج فقال للناس، الذين كانوا يطلبون أن يكتب لهم الأحاديث فيمتنع، قال لهم بصوت عال:

«أيها الناس: إننا كنا منعناكم أمراً - أي كتابة الأحاديث لهم - وقد بذلناه الآن لهؤلاء. وأن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث، فتعالوا حتى أحدثكم بها، فحدثهم بالأربعمئة حديث».

هذه هي الواقعة بكل ملابساتها، وما يحمد للزهري فيها أنه أبرا ذمته، وسوى بين جميع طلاب العلم، وبين ابن الخليفة كما وضع للناس السبب في كتابته الأحاديث لابن هشام وهو إلحاح هشام عليه كما جاء ذلك واضحاً في كلامه، الذي رواه ابن عساكر وابن سعد، وشاركهما الخطيب في ذكره.

الواقعة بعد التحريف:

كان جولدزيهر أول من حرّف عبارة الإمام الزهري تحريفاً خطيراً أفسد المعنى المراد عند الإمام الزهري.

فقد حرّف زيهير عبارة الزهري «أكرهونا على كتابة الأحاديث» إلى قوله: «أكرهونا على كتابة أحاديث»!؟

والفرق بين العبارتين كبير وخطير:

فعبارة الإمام الزهري معناها أن هشاماً أكرهه على كتابة أحاديث رسول

الله ﷺ.

ومعنى عبارة زيهير أن هشاماً أكره الزهري على كتابة أحاديث مفتراة لم

يقلها النبي ﷺ!؟.

والمقصود من هذا التحريف عند زيهـر ومشايـعـيه أن الزهـرى كان أول من
تعـمد الكذب على رسول الله ثم تتابع جامعو السنة في « فبركة الأحاديث » دون
أن يكون لها من الصحة نصيب؟!!

هذه هي الحقيقة، وأنت ترى أن هذه الشبهة لم تقم على أى أساس سوى
التحريف المتعمد، ولا عجب، فإن اليهود - ومنهم جولـدزيـهـر - لهم مهارة في
التحريف والخيانة، فقد حَرَّفوا التوراة وشوهوا صورة الحق فيها، فما الذى يمنع
زيهـر من تزوير النصوص الإسلامية تزويراً يحقق بعض أو كل مطامع اليهود في
تشويه الإسلام، أو القضاء عليه؟! وليست مشكلتنا اليوم مع جولـدزيـهـر، فقد
هلك هو وهلك معه حقه على الإسلام.

وإنما مشكلتنا مع هؤلاء « الخونة » الذين اتخذوا من سنة رسول الله ﷺ
« غرض » يطلقون عليه سهامهم الطائشة بسوء نية، وسوء لسان.

وتراهم لم يقفوا عند المعنى الذى أراده سلفهم « زيهـر » بل ضخّموا هذه
« الفرية » وادعوا أن السنة « كلها » كتبت فى « قصور الأمراء » وعلى « أهوائهم »
وهى الشبهة التى رصدناها وعرضناها من قبل ثم فندناها ونقضناها بأسلوب
علمى موضوعى لا تهافت فيه ولا تحامل والحق لا يحتاج أنصاره فى الدفاع عنه
إلى استخدام سلاح الباطل فدعائم انتصار الحق كامنة فى الحق نفسه.

امتناع الزهـرى أولاً :

وليس فى امتناع الزهـرى عن كتابة الحديث أولاً، ولا فى إعلانه عن كراهيته
للكتابة أمام هشام ثانياً، ليس فى هذين ما يمكن أن يكون ترشيحاً وتقوية
لادعاءات منكرى السنة الآن، ولا لجولد زيهـر من قبل.

جولد زيهـر يقول إن الإمام الزهـرى اعترف بصراحة عن تزويره أحاديث عن
رسول الله ﷺ استجابة لرغبة الخليفة هشام بن عبد الملك.

وهذا كله وهم مغلوط، ولا يفهم منه أن موقف الزهـرى كان لاعتقاده أن
السنة مزورة، لأن هذا الموقف وقف مثله الخليفة الأول أبو بكر الصديق من جمع

القرآن فى مصاحف كما وقفه زيد بن ثابت الأنصارى حين عهد إليه الشيخان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بجمع القرآن، وقال إنه لو كُلف بنقل جبل لكان أهون عليه من جمع القرآن .

والأمور العظيمة يخشى الاتقياء وأهل الورع الإقدام عليها تقديراً لها، ورؤية أنفسهم أضال ما يكونون أمام عظمتها مثل الفتيا، ما أكثر من كان لا يجرؤ عليها من أصحاب رسول الله ﷺ وهم أهل للفتوى والقضاء .

فهل يقول هؤلاء الأبقون إن معارضة أبى بكر رضى الله عنه أولاً فى جمع القرآن فى مصاحف كانت لريب فى نفسه نحو القرآن، وهل يقولون إن زيد بن ثابت كره أن يقوم بجمع القرآن من صدور الحفاظ، ومن الرقاع لاعتقاده أن القرآن لا يوثق بروايته وحفظه؟! .

إنهم لن يستطيعوا - لأسباب كثيرة - أن يقولوا بهذا . ونسالهم - بناء على ما تقدم - ما الفرق بين موقفى أبى بكر وزيد بن ثابت، وبين موقف الزهرى؟! هل عندكم من علم فتخرجه لنا يا حزب الشيطان؟! .

* * *